النوع التاسع والعشرون

في بيان المَوْصول لفظاً المفصول معنىً

هو نوعٌ مهمّ جديرٌ أن يفرد بالتصنيف؛ وهو أصلٌ كبير في الوقف؛ ولهذا جعلته عَقِبه. وبه يحصُل حَلُّ إشكالات وكشفُ معضِلات كثيرة:

من ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ إلى قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩ ـ ١٩٠]. فإنَّ الآية في قصة آدم وحواء كما يُفهمه السياق؛ وصُرِّح به في حديثٍ أخرجه أحمد [٢٠١١٧]، والترمذي ـ وحسّنه ـ [٣٠٧٧] والحاكم ـ وصححه ـ [(٢/ ٥٤٥)] من طريق الحسن عن سَمُرَة مرفوعاً.

وأخرجه ابن أبي حاتم[(١)] وغيره بسندٍ صحيح عن ابن عباس.

لكن آخر الآية مُشكِلٌ، حيث نسب الإشراك إلى آدم وحواء، وآدم نبيٌّ مكلَّم، والأنبياء معصومون من الشرك قبل النبوَّة وبعدها إجماعاً، وقد جرَّ ذلك بعضَهم إلى حمل الآية على غير آدم وحواء، وأنّها في رجل وزوجته كانا من أهل المُلْكِ، وتعدَّى إلى تعليل الحديث والحُكْم بنكارته.

وما زِلْتُ في وقفةٍ من ذلك حتى رأيت ابنَ أبي حاتم[(٢)] قال: أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم: حدَّثنا أحمد بن مفضَّل: حدَّثنا أسباط، عن السُّديّ في قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٠] قال: هذه فصْل من آية آدم، خاصة في آلهة العرب.

وقال عبد الرزَّاق: أخبرنا ابن عُيينة، سمعت صَدَقة بن عبد الله بن كثير المكيّ يحدِّث عن السُّديّ قال: هذا من الموصول المفصول.

وقال ابنُ أبي حاتم[(٣)]: حدَّثنا عليّ بن الحسين، حدَّثنا محمد بن أبي حمَّاد، حدَّثنا مِهْرَان، عن سُفيان، عن السُّديّ، عن أبي مالك قال: هذه مفصولة، إطاعة في الولد ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذه لقوم محمد.

فانحلَّتْ عني هذه العقدةُ، وانجَلَتْ لي هذه المُعْضِلَةُ، واتَّضح بذلك أن آخر قصة آدم وحواء: ﴿فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾، وأن ما بعده تخلّص إلى قصة العرب، وإشراكهم الأصنام. ويوضِّح ذلك تغيير الضمير إلى الجمع بعد التثنية، ولو كانت القصَّة واحدة لقال: (عمَّا يشركان)، كقوله: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا . . . فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف: ١٨٩ ـ ١٩٠]. وكذلك الضمائر في قوله بعده:

---

(١) في «تفسيره» ٥/ ١٦٣٠ (٨٦٣١) الأعراف: ١٨٩.

(٢) في «تفسيره» ٥/ ١٦٣٥ (٨٦٦١) الأعراف: ١٩٠.

(٣) في «تفسيره» ٥/ ١٦٣٥ (٨٦٦٣) الأعراف: ١٩٠.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا﴾ [الأعراف: ١٩١]، وما بعده إلى آخر الآيات. وحُسْنُ التخلُّص والاستطراد من أساليب القرآن.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ﴾ [آل عمران: ٧] الآية، فإنه على تقدير الوصل يكون: (الراسخون يعلمون تأويله). وعلى تقدير الفصل بخلافه.

وقد أخرج ابنُ أبي حاتم[١]، عن أبي الشعثاء وأبي نَهيك، قالا: إنكم تصِلون هذه الآية وهي مقطوعة.

ويؤيد ذلك كونُ الآية دلَّت على ذمِّ متَّبعي المتشابه ووصْفِهم بالزَّيْغ.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ [النساء: ١٠١]. فإنَّ ظاهر الآية يقتضي أنَّ القصر مشروط بالخوف، وأنَّه لا قَصْرَ مع الأمْن، وقد قال به لظاهر الآية جماعةٌ؛ منهم عائشة، لكن بيّن سببُ النزول أنَّ هذا من الموصول المفصول. فأخرج ابنُ جرير[٢] من حديث عليّ: سأل قوم من بني النَّجار رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا نضرب في الأرض، فكيف نصلِّي؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، ثم انقطع الوحيُ، فلمَّا كان بعد ذلك بحوْلٍ، غزا النبيُّ ﷺ، فصلَّى الظهر، فقال المشركون: لقد أمكنكم محمَّد وأصحابُه من ظهورهم، هلاَّ شدَدْتُم عليهم. فقال قائل منهم: إن لهم أُخرى مثلها في أثرها. فأنزل الله بين الصلاتين: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا مُّهِينًا﴾، فنزلت صلاة الخوف.

فتبيَّن بهذا الحديث أنَّ قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ شرط فيما بعده، وهو صلاة الخوف لا في صلاة القصر، وقد قال ابن جرير: هذا تأويلٌ في الآية حَسَنٌ، لو لم تكن في الآية ﴿وَإِذَا﴾[٣].

قال ابن الفَرس: ويصحُّ مع ﴿وَإِذَا﴾ على جعل الواو زائدة.

قلت: يعني ويكون من اعتراض الشرط على الشرط، وأحسن منه أن تجعل ﴿وَإِذَا﴾ زائدةً، بناءً على قول مَنْ يجيز زيادَتَها.

وقال ابن الجوزيّ في كتابه «**التفسير**»[٤]: قد تأْتي العرب بكلمة إلى جانب كلمة أُخرى كأَنَّها معها، وهي غير متصلة بها، وفي القرآن: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ [الأعراف: ١١٠]. هذا قول الملأ، فقال فرعون: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الأعراف: ١١٠].

ومثله: ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ انتهى كلامها، فقال يوسف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥١ ـ ٥٢].

---

(١) في «تفسيره» ٢/ ٥٩٩ (٣٢٠٦) آل عمران: ٧.

(٢) في «تفسيره» ٤/ ٢٤٣ النساء: ١٠١.

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾.

(٤) «زاد المسير في علم التفسير» ٤/ ١٨١ يوسف: ٥٢.

ومثله: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ هذا منتهى قولها، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٣٤].

ومثله: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ انتهى قول الكفار، فقالت الملائكة: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في هذه الآية قال: آيةٌ من كتاب الله أولها أهل الضلالة وآخرها أهل الهدى، قالوا: ﴿يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ [يس: ٥٢]، هذا قول أهل النفاق، وقال أهل الهدى حين بُعثوا من قبورهم: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾.

وأخرج[1] عن مجاهد في قوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]. قال: وما يدريكم أنهم يؤمنون إذا جاءت؟ ثم استقبل يُخبِرُ فقال: ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) ابنُ أبي حاتم في «تفسيره» ٤/ ١٣٦٨ (٧٧٧٠) الأنعام: ١٠٩.